فتحي الشرماني
fathi9595@gmail.com

صدق اليمنيون وكذبت قوى الشر!!

ظل اليمنيون يتأملون في الواقع المأساوي الذي وصلت إليه بعض الشعوب العربية من حولهم فلم يكن أمامهم إلا إنجاح مؤتمر الحوار الوطني, وعليه فلن يكون أمامهم في قادم الأيام إلا احترام مقررات الحوار التوافقية التي تشاركت في الوصول إليها مختلف القوى الوطنية والمكونات السياسية والاجتماعية والمدنية.

وليتذكر المتحاورون أنهم باختتام هذا الحوار وتحقيق الإجماع على وثيقته يكونون قد وجهوا صفعة قوية لقوى الشر التي حرصت طيلة 9 أشهر على أن تعيق نجاحه, وأن تفجر الأوضاع وتخلط الأوراق, مستخدمة كل وسائل الإجرام والإفساد, بل إن أملها لم يخب حتى آخر لحظة من لحظات مؤتمر الحوار, فقد أرادت أن تختتم جرائمها البشعة باغتيال عضو مؤتمر الحوار المرحوم الدكتور أحمد شرف الدين أستاذ القانون بجامعة صنعاء لتقطع الطريق على إعلان بيانه الأخير وتشتعل الحروب والمواجهات, ولكن هيهات .. هيهات للقاتل أن يصل إلى ما يريد, وقوى الخير في هذا الوطن مصممة على أن يطوي اليمنيون صفحة الماضي ويسيروا في طريق المستقبل بثبات وصلابة مهما كانت التحديات, ومهما بلغ حجم المؤامرات.

إنني بوصفي مواطنًا يمنيًا حالمًا لا يسعني إلا أن أعبر عن شكري لكل القوى السياسية والشبابية التي صنعت هذه التوليفة الوطنية الرائعة وصبرت لتنجح واختلفت لتتوافق, وقد علمنا هذا الحوار أن لا يأس مع الحياة, وأن لا فشل مع التحاور والتوافق, وأن ليس لجماعة أو حزب أن يقرر لوحده مصير هذا البلد, يقوده إلى ذلك غروره وأنانيته ورغبته في إقصاء الآخر, فكل القوى ينبغي أن تتشارك في صنع المستقبل بمسؤولية ما دام الوطن ملكًا للجميع.

أما الرئيس عبدربه منصور هادي فإنه لايزال يثبت أنه ذلك الرجل الفدائي الذي يصر على أن يصنع شيئًا جميلاً تذكره به الأجيال القادمة .. رجل صعد إلى سدة الحكم وهو محل إجماع القوى الوطنية, ولا يزال اليوم محل إجماع, ولا يستطيع أحد إنكار أن هذا الرجل قاوم كل العواصف والمناخات السيئة حتى تمكن من الوصول بسفينة الوطن/ الحوار إلى بر الأمان بهذه الوثيقة الجامعة التي أخذت من الأمور أوسطها وأنفعها وأحسنها وأصدقها, وبغير ما فيها من الحلول المتوافق عليها لن ننتظر غير عقد أو عقود جديدة من الصراع والضياع والتناحر, في الحين الذي تنهض فيه شعوب أخرى وتزداد تقدمًا.

سأكون متسرعًا إذا قلت: إن قوى الخير في اليمن انتصرت اليوم على قوى الشر, ومخرجات الحوار لا تزال في بداية طريقها إلى التنفيذ, لكن لا مانع من أن نؤكد هذا الانتصار؛ لأن إرادة الشعب من إرادة الله, وذلك الإجماع بالأغلبية والهتافات المؤيدة لحظة إقرار الوثيقة دليل على أن اليمنيين وإن اختلفوا يتفقون, ويعالجون مشكلاتهم بأنفسهم, وليسوا مغرمين بالتناحر ولكنها الأزمات والأحداث والمخططات العدوانية هي التي تزرع الشقاق.

وشكرًا للقاتل الذي يعلمنا اليوم من حيث لا يدري أن نزداد وفاقًا واتحادًا وتلاحمًا, لنفشل أي طموحات تسعى إلى النيل من مستقبل اليمنيين وكبح جماحهم.

أحمد الشرعبي

هادي وأولويات اليمن

نتحدث عن الماضي بقرف وتقزز.. نحس به قبراً تجثو فيه تطلعاتنا في الحاضر وقيداً يعوق حركتنا إلى المستقبل.

نكره أن يكون الماضي كتاباً تكتض بثأراته حقائبنا أو مداداً يملأ محابرنا أو وثيقة نتداولها في مؤتمراتنا.

وتحركنا دوافع موضوعية للنفور من الماضي كل الماضي وكأننا على خصومة مع التاريخ أو لكأن التاريخ نفسه ليست لديه مدونات أخرى غير أشكال الوصاية بأطوارها المتخلفة وتعبيراتها الانتهازية المكتنزة في غور الاستبداد السلالي والتداين السياسي.

نزدري الماضي على إطلاقه لأننا لا نعاين من تمثلاته الحياتية وأنماطه السلوكية شيئاً مختلفاً عن المثل الفكاهي لمتجر كبير يحمل لوحة عريضة كتب عليها (السلام للتجارة والاستيراد لصاحبه الحسين عبدالمؤمن العاقل) وفي الحقيقة فإن جميع السلع المعروضة لديه لا تتجاوز السموم بأصنافها المختلفة والأسلحة الرشاشة بأنواعها المتعددة! أما صاحب المتجر فملاحق جنائياً ويعاني من لوثة عقلية مذ يفاعته وليس في حياته حسن ولا إيمان ولا عقل!!

هكذا يبدو الماضي بالنسبة لليمنيين متجراً للسلام القاتل والشعب القتيل الحوثيون، السلفيون، الإخوان ولكل تفرعاته الأشد غيرة واستعداداً للموت!! والموت من أجل السلطة وليس مهماً متى وصلوا إليها أن يكون الحاكم عبداً كرأس زبيبة أو أن تتقوس ظهور الخلق من التقرب إلى الخالق بتقبيل العوام الذين هم نحن حواف ابن الأكرمين؟

* هل صحيح أن الله خول أحداً قتل عباده بغير حق؟

* ولأن هؤلاء وأولئك لا يريدون الخروج من شرعية القبو تغدو مشاعات التطرف مستقبلنا الموعود بهم أو منهم. فهل من وسيلة للإفلات الجماعي الذي يجعلنا معاً نحن وهؤلاء على قلب هدف استراتيجي ثلاثي الاضلاع.. دولة المواطنة، وسيادة المعرفة، وسلطة القانون..

إن كان الصراع المحتدم بين ممالك الباروت وزنابق المعرفة قد أردى الشهيد د. أحمد شرف الدين فما الذي سيقوله تلامذته ومريدو درسه اليومي المبشر بالعدالة والحرية والمساواة هل يتركون إرثه الوضاء لمارثونات الندب أم يحملون جثمانه إلى الثرى ونضاله من أجل سيادة القانون إلى الثريا؟

هل استهدف توقيعه على وثائق الحوار؟ أم عوقب على آرائه؟ أم أوقف عن دوره في عقلنة المواقف المندفعة خلف مظلوميات التاريخ؟ تختلف طرائق قوى الصراع في إدارة تبايناتها الداخلية لكنها تتفق في وضع الإشارات الحمراء أمام المغايرة الواعية غرار موقف المؤتمر الشعبي من الدكتور عبدالكريم الإرياني وموقف الحزب الاشتراكي من الأستاذ أبوبكر باذيب خلال مجريات الحوار.. فهل يظل الماضي قاحلاً ورؤيتنا العدمية تختزله على إرث الاستبداد ومفاصلات السقيفة وزهو يوم حنين.

كيف تموت أميركا وإسرائيل ومعظم المتحلقين على الشعار انقطعوا عن مواصلة الدراسة في الصفوف الابتدائية وتفرغوا القتال معاوية بل كيف نقنع جماعة دماج بأن أهم منجزاتهم خلال ما يزيد عن 40 عاماً إيقاظ النائم وتهيئة أسباب النزوح و"إطلاق السيوف الباترة" الذي لا يستثني أحداً من النبذ والتفسيق..؟ كيف يعقل الإخوان نتائج ممارساتهم باستمراء المتاهة وهل يدركون كلفة الدفاع المستميت عن حكومة لا نظير لها في الهزال قياساً بكل حكومات الرئيس السابق؟

بل كيف نقنع هذا الماضي وأطرافه الصراعية بأن لديهم ما يستحق الوقوف عليه، والاقناع به في إطار جدلية الاتصال والتواصل بين الأفكار والأزمنة والمجتمعات.

دعونا إلى التغيير فهبت جماعات التدمير، أردناه وطناً للجداول فسبقتنا المعاول، ضقنا من نظام صالح فهب الإخوان وذبحوا الناقة والتهموا الثورة على رؤوس الأشهاد..

أتحدث إلى الماضي باجتراراته القسرية ومراياه المتخشبة وليس سوى الضرورة ما يدعونا للتعاطي معه بوصفه مجمل أشغال الحاضر !! أقصد الماضي القريب الذي يستعصي أن يكون تاريخاً فحسب؟!

اليمنيون يستطيعون التخفف من آثام هذا الماضي حال صيرورته إلى معضلات واضحة تتطلب الحل أما حين يعاد إنتاجه على أكثر من شاكلة وإذ يفرض نفسه بقوة الأمر الواقع عبر جماعات السلاح ومراكز القوى الناعمة ومحميات الاستحواذ على مجمل الفرص الإقتصادية فإن تحرير المجتمع من أغلاله يستوجب جهداً معرفياً وإنفاقاً سخياً وخيالاً خصباً وعقيدة نضالية تلقف ما يأفكون.

من الهوس اعتبار التاريخ حديقة خلفية يتوسلها الكائن البشري للتخلص من فضلاته.. كما أن الافراط في الجدل حول تأثير الماضي القريب على حركة الحاضر وبالأخص من مفاصلها الدين والسياسة والاقتصاد يتطلب مشروعاً ثقافياً جامعاً وإلا عد الأمر اختلافاً مع فلسفة الحياة إذ من فاحش القول اعتبار الماضي تهمة مطلقة ولا التاريخ مجرد قصص وتهيؤات نتسلى بجمالياتها السردية لكنهما نتاج مناشط انسانية لم تكن حيواتنا لتستقر على صورتها الراهنة سلباً أو إيجاباً دون تاريخ أو بمعزل عن ماض.

على هذا النحو تذهب بنا طروحات وزير التعليم السابق الدكتور. صالح باصرة المتلفزة إلى الشغف بمجاهدات اليمنيين على تقديم نموذج حضاري أنجز تحدي الخصب في علاقة الانسان بالأرض واستدعى إعجاز العقل في الصناعات اليدوية والإعمار غير أن فئران ضخمة انشبت نابها في أرومته لتتكالب عليه عزوات الطامعين وتتجاذبه صراعات الممالك والاذواء والعشائر بيد أن مفارقات الأسى تنزع بنا من قمة الانتشاء بأهم أسفار الحضارات العربية والإسلامية إلى وهدة الانكسار إذ ليس المهم وجود قارئ موسوعي للتاريخ ولكن مدى قدرة متخذ القرار على استدعاء هذا القارئ لأعمال استخلاصاته المنهجية في مواجهة تعقيدات الواقع سيما متى التقت دروس التاريخ مع الملكات الكفؤة وصار دورهما موضع إرادة سياسية ذات رؤية بعيدة تعبئ الصفوف وتحشد الموارد في سبيل أهداف استراتيجية عمادها دولة المواطنة وسيادة المعرفة وسلطة القانون.

ولو أن مؤتمر الحوار حرك بوصلة التاريخ صوب مجسم كهذا ما بقت الغمة عالقة تدمي القلب وتقط المضجع وتنكي جراح الضمائر المسكونة بعشق الوطن.

الرئيس هادي أنهى مؤتمر الحوار بوعد التغيير ودعا القوى السياسية إلى مؤازرته فيما يعتزم القيام به من قرارات.. ولا شك أن لدعوته دلالتها الهامة لأن وعداً كهذا ليس مجرد نزهة في أدغال التاريخ ولا اطلالة عابرة على تعقيدات الحاضر لكنه أشق تحديات اليمن في أدق حقب التاريخ ويقتضي الواجب التفاف الشعب حول رجل قد يكون المنقذ فعلاً إن سانده الشعب بقوة وإصرار.. وما أحوج البلاد إلى طوق نجاة وإلا كان القادم خلاصة مساوئ الماضي بشقيه القريب والبعيد..

ما هو المستقبل الذي ينتظره اليمنيون؟!..

محاولة للفهم من خلال الحاجة "المركبة" للدولة والديمقراطية

عبدالله دوبلة

أي مستقبل هو ذلك الذي ينتظره اليمنيون؟!.. أظن أن هذا هو السؤال الأكثر حضورا في ذهن الجميع، من مواطنين عاديين إلى المشتغلين في السياسة..

ربما هناك إجابات بمستقبل فردوسي عند بعض المتفائلين، في مقابل توقعات هي أكثر سوداوية عند المتشائمين، إلا أن المكان الذي ربما يلتقي عنده الجميع هو أن لا أحد هو متيقن تماما مما يظن.

إلا أن لا شيء هو ابن الصدفة في هذا العالم، هناك أدوات وقدرات وأحداث هي عادة ما تصنع التاريخ، ولسنا استثناءً، بفهم وتحليل هذا الواقع الذي نحن فيه وأدواته وقدراته يمكن التنبؤ ببعض السيناريوهات المستقبلية المحتملة..

يمكن الانطلاق من عند الواقع السياسي للبلد عند حدث الربيع العربي 2011، حيث كان الواقع اليمني أكثر تعقيدا من الحالات المشابهة في البلدان العربية التي اجتاحها الحدث، ففيما كان الهدف هناك هو إسقاط النظام كانت الحاجة الأكثر إلحاحا هنا في اليمن هي إيجاد النظام نفسه..

بوضوح أكثر.. ربما كانت الديمقراطية هي الحاجة هناك، فيما كانت حاجة اليمن حاجة أساسية وهي الحاجة لـ"الدولة" ذاتها، حيث كانت الدولة، فكرة الدولة لا تزال هشة عند الجميع، ليس عند من ثير عليهم فقط، وإنما عند الثائرين أيضا. وهي كأدوات وحضور أكثر هشاشة..

المشكلة أن هذه الحاجة المركبة للدولة وللديمقراطية، أنها تتطلب أداءات وأدوات على النقيض تماما مع بعضها. والإشكال الأكبر أنه يطلب ممارستهما أو أن يمارس التأسيس لهما في ذات الوقت، فيما العادة هي أن تحدث الأولى أولاً "الدولة"، ومن ثم الثانية "الديمقراطية".

أظن أن فهم هاتين الحاجتين وأدواتهما المتناقضة مسألة مهمة للتنبؤ بأي مستقبل ينتظر اليمن. لنبدأ من عند الدولة: إذ تحتاج الدولة أول ما تحتاج إليه لتكتسب وجودها، هو احتكار العنف وممارسة القسر، ومن ثم العدالة وتوفير الخدمات، وفي مراحل أكثر تقدما تحتاج للحريات والديمقراطية لتكتسب خاصية الاستمرار.

تحتاج الدول أيضا عند تأسيسها لقادة أفراد في العادة، مدعومين بقوة عنيفة "الجيش"، أو حماسة وطنية جارفة، أو الاثنين معا. كما تحتاج لوحدة مجتمعية صلبة عن شعور وطني حقيقي، أو شعور قصري ناتج عن ممارسة العنف.

الديمقراطية: هي على العكس تماما في حاجتها، فهي تحتاج للحريات محل تراجع ممارسة العنف والقسر، كما أنها تقوم على المجموعة الكبيرة للشعب وليس على الأفراد كما هو الحال عند تأسيس الدولة.

_ التعقيدات أمام وجود الدولة في اليمن وأدواتها المتوفرة:

1_ الإحساس الجمعي بالدولة اليمنية الموحدة، والحاجة لها.. لا يوجد. إذ تنتعش الآن المطالب الجهوية على أكثر من جغرافيا وطنية، كأفكار ومطالب، أو كأدوات ممارسة على حساب وجود الدولة.

2_ قدرة الدولة على ممارسة العنف والقسر واحتكاره لإجبار الجميع على الرضوخ لسلطة وفكرة الدولة، لا يوجد. بل تبدو الدولة الطرف الأكثر ضعفا بين مجموعات قوى حولها هي عندهم كإطار لرعاية مصالحهم، أو وسيط فيما بينهم عند الاختلاف.

3_ الحساسية الوطنية تجاه التدخلات الخارجية. لا توجد أيضا. بل تبدو التدخلات الخارجية هي الأكثر تأثيرا والمتحكمة بالكثير من مسار الأحداث.

4_ القائد الفرد الوطني والمؤسس للدولة.. مدعوم بإحساس وطني كبير، أو مدعوم بالقدرة على ممارسة القسر. لا يوجد أيضا. ما يوجد هو رئيس توافقي محكوم بأدوات الصراع ومراكز القوى وقدراتهم في الداخل والخارج، وبمبادرة سياسية تجعل من كل أولئك شركاء معه في القرار. أو مهيمنين عليه في أغلب الأحيان.

_ التعقيدات أمام وجود الديمقراطية وأدواتها المتوفرة:

1_ الدولة الوطنية القوية والمستقرة التي تمارس في إطارها الديمقراطية في إطار منظم وآمن.. لا توجد. ما يوجد هو دولة هشة ومفككة وطنيا..

2_ الشعب كمصدر وحيد للسلطات والمتكون من مواطنين أفراد يعبرون عن خياراتهم بكل حرية من خلال أحزاب أو مستقلين. لا يوجد. فما يوجد هو مجموعات من مراكز القوى تتقاسم المواطنين فيما بينها على اعتبارات جهوية أو مذهبية كعصبويات دون الدولة، وأحزاب هي ليست استثناء عن هذا الواقع وأدواته التي تحتكم لامتلاك القوة وليس للتفويض التصويتي كما تفترض الديمقراطية.

لكن. على ضوء ما سبق هل يمكن القول أنه يمكن الحصول على دولة؟!.. الإجابة من وجهة نظري هي، لا. وهل يمكن الحصول على الديمقراطية على الأقل؟! الإجابة هي، لا. أيضا.

إذاً ما الذي سنحصل عليه؟!، ربما يقول أحدكم،.. سنحصل على حالة مائعة من شبه الدولة وشبه الديمقراطية كهذه التي نشهدها الآن، ويؤسس لها تحت دعاوى الشراكات الوطنية وهي شراكات مراكز قوى في الأساس، وإلا لا أدوات سياسية فارقة تنبئ بثمة دولة حقيقية أو ديمقراطية حقيقية في الانتظار.

لكن هل هذا هو السيناريو الوحيد؟! في الحقيقة هو السيناريو الأقل سوءا، فأن تحصل على شبه دولة وشبه ديمقراطية ربما يتطوران في ظروف أخرى إلى أن يكونا حقيقيين، هو مكسب وأفضل من الانهيار الشامل للدولة بطبيعة الحال. لكن هل تصمد الدول "المائعة"؟!.. ليس كثيرا.. في العادة.

علاو علي الهمزة

انتصار الحكمة

استطاعت اليمن أن تتجاوز المحن خلال خمسة عقود من الزمن بفضل الله وعنايته وحكمة أبناء اليمن الشرفاء فقد أنجزوا لليمن قيام ثورتيه 26 سبتمبر عام 1962م وأكتوبر عام 1963م وبذلك انتهت حقبة من التاريخ السحيق لما لهذه الحقبة من عناء وتعب وحياة الذل شمالا وجنوبا وبهذا تكون اليمن قد بدأت عهدا جديدا وطموحا بتحقيق ما بقى من أهداف الثورة اليمنية ونخص بالذكر تحقيق الوحدة الوطنية حيث كرست جهود كبيرة لفتح الأبواب المغلقة والتي حاولت القوى الرجعية والعميلة أن تفرضها على الشعب اليمني وفرض الوصاية عليه من خلال اللقاءات لقادة شطري اليمن بصورة مستمرة عبر عقود من الزمن تتخللها عقبات حاولت الاستيلاء على تلك المنجزات ووأدها بل وأوصلت الشطرين إلى الخوض في حروب أهلية في المناطق الوسطى راح على أثرها الكثير من الشهداء والعديد من التضحيات والخسائر المادية والمعنوية ولا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا..

كل ذلك من التضحيات والتي استغلت من قبل ضعفاء النفوس تجار الحروب الذين لا يستطيعون العيش دون إشعال فتيل الأزمات.

وبعد أزمة طويلة أعقبها الانفراج التدريجي من خلال فتح باب الحوار بين الشطرين التي توقفت عقب عمليات الإجهاض التي تعرضت لها العملية السياسية حيث استهدف رموز الدولتين من قبل تلك القوى الرجعية العميلة التي لم تكن ترغب في تحقيق الوئام بين أبناء اليمن تحت مبررات ومسميات عدة لا ترقى أن تكون سببا في إيقاف المشروع الوحدوي الذي ناضل من أجله كافة أبناء اليمن شمالا وجنوبا وضحوا بدمائهم الزكية من أجله.

وبعد تجاوز تلك الأحداث الأليمة على قلوب أبناء شعبنا اليمني الأبي واستغلالا للظروف السياسية الدولية والإقليمية استطاع شعبنا اليمني صنع المستحيل في إعلائه الوحدة الوطنية 22 مايو 1990م التي تعرضت لكثير من المشاريع المعرقلة من قبل بعض العملاء داخل الوطن أعداء الثورة والجمهورية الذين لم يألوا جهدا ولم يبأسوا من سوء أعمالهم فقد أثاروا النعرات الطائفية والمذهبية والمناطقية بين أفراد الشعب اليمني مستغلين الحرية السياسية من خلال تكوينهم الأحزاب التي تعيق كل ما من شأنه تقدم اليمن واستقراره وتطوره تلك الأحزاب التي سعت إلى تدمير البنية الثقافية لأبناء الوطن وغرس الكراهية والانتقام ليس هذا فحسب بل تسعى هذه الأحزاب اليوم إلى شق الصف الوطني وتمزيق الوطن كل ذلك لا يفسر إلا بشيء واحد..؟

أن مثل هذه الهيئات ومن يعمل عليها يفترض اتخاذ القرار الحاسم والسريع بحل مثل هذه الأحزاب وإيقاف النشاطات المشبوهة وتجفيف منابعها التمويلية ومصادرتها وتوظيفها لصالح التنمية وترميم مالحق بالوطن من أضرار جراء تلك الممارسات الحاقدة على جميع أبناء الوطن.

فبدلا من تعزيز روح الأخوة من خلال مؤسساتها الإعلامية والثقافية تعمل بعكس ذلك دون مراعاة الحساسية وظروف اليمن اليوم وعدم مراعاة القوانين واللوائح والمصلحة الوطنية العليا ما يوجب على الجهات ذات العلاقة اتخاذ القرار المناسب حيال مثل تلك المؤسسات والهيئات وخاصة ونحن اليوم نختتم مرحلة حاسمة من تاريخ اليمن المعاصر وهي إعلان مخرجات الحوار الوطني مشروع اليمن الجديد يمن العدالة والمساواة والحرية التي توجب على جميع الهيئات السياسية والثقافية رص الصفوف مع قائد المسيرة حكيم اليمن الجديد المشير عبدربه منصور هادي الذي استطاع أن يتجاوز وبنجاح عقبات ومنعطفات كبيرة وخطيرة بشجاعة وإقدام وإصرار دون مبالاة لما يسعى لتحقيقه وعمله أصحاب المشاريع .. ويكفينا فخرا واعتزازا بهكذا قائد .. صنع اليمن تاريخه الحديث فهنيئا لشعبنا اليمني ونسأل الله أن يسدد على طريق الخير خطاه.

وأما المرجفون والحاقدون فإننا نقول لهم موتوا بغيظكم فاليمن مهما كانت التضحيات باق رغم كل التضحيات وما استعداد القيادة لذلك إلا خير مثال ولكن؟؟

سنقول نحن فداء للوطن ولقيادته ليبقى اليمن موحدا أمنا حرا مستقلا.. انتصرت الحكمة حكمة الوفاق والحوار فهنيئا لجميع أفراد شعبنا اليمني وقيادته الحكيمة هنيئا لباني اليمن الجديد.

عبدالرحمن سيف اسماعيل

2-2

عشرون عاما ما زال حاضرا في الذاكرة

سلطان أحمد عمر.. فلسفة النضال والكفاح من أجل الحرية والبقاء

ولد سلطان في معمعة الفكر الوطني وكان وعيه حاضراً في الفكر النضالي التحرري الذي حمله والده الفنان أحمد عمر مقبل والحركة الوطنية التي قدمت أرواحها فداء لتحرير الوطن اليمني من قبضة الاستعمار البريطاني والفكر الاثوقراطي الكهنوتي الجامد وفي هذا المناخ تطور وعيه النضالي وكان التحول الابرز عام 1957م عندما شكل ورفيقه فيصل عبداللطيف فرع حركة القوميين العرب في اليمن تطور معها فكره من الفكر القومي التحرري المحدود إلى الفكر الماركسي اليساري التقدمي غير المحصور بين الحدود المغلقة.

وعلى الرغم من كونه لم يكن أول من حمل الفكر الماركسي ومنهجه الجدلي إلا أنه أول من حول هذا الفكر من نصوص جامدة إلى واقع حقيقي متحرك وربما أنه كان الأول في المنطقة العربية تعاطيا مع مضامينه الدياكليتيكية حيث قام بدراسة التاريخ اليمني قديمه وحديثه وفقا لمبادئ وقواعد المنهج الجدلي والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية الخمس في الفكر الماركسي اللينيني كما اسلفت في كتابه المتميز «نظرة في تطور المجتمع اليمني».

قال عنه الدكتور محمد قاسم الثور تمثل سلطان المتغيرات ومواكبة التطور نحو الافضل فكرا ونضالا بعقلية متفتحة كان ديمقراطيا حقيقيا بالرغم من مظهره الحاسم ومكانته الحزبية الرفيعة وربما كان المؤتمر الأخير للحزب الديمقراطي الثوري اليمني الذي انعقد في 5 مارس 1979م في الوقت كان رحمه الله سكرتيره الأول اسطع دليل على ذلك فالبرغم من معرفة شدة اختلاف اغلبية اللجنة التحضيرية والمندوبين مع وجهة نظره لم يستعل على النتائج بالرغم من توفر كل الامكانيات لديه وفي وقت عصيب كهذا يمتحن الزعماء في صدق استعدادهم للامتثال للديمقراطية ومن عظماء كهذا يمكن تعلم الديمقراطية.

هذه حقيقة ساطعة ادركها الدكتور من خلال شراكته التنظيمية معه فالرجل رحمه الله كان قويا وذا سطوة ومكانه داخليا وخارجيا إلا أنه تعامل مع الأمر بموضوعية وديمقراطية ليس من منظور الند للند أو منظور الكبرياء وإنما من منطلق الثقافة الرفاقية ثقافة الحب والتسامح وعندما سألته الصحافة عن شعوره بهذا التطور الذي جرده من جميع مسؤولياته القيادية قال وبثقة الرجل القوي هذه ظاهرة صحية في الحزب على عكس تعبيرات بعض خصومه الذين اعتبروا أن سلطة القوة وسلطة منطقة ما ذهبت إلى غير رجعة وقال عنه رفيق كفاحه الاستاذ يحيى عبدالرحمن الارياني لقد كان سلطان أحمد عمر من جيل المعاناة الذي وقع على عاتقه تحمل المسؤولية التاريخية وقد برز الفقيد واحدا من ابرز قادة هذا الجيل الذي استجاب لدعوة التاريخ وأخذ على عاتقه مع زملائه الآخرين العمل من أجل تغيير الواقع اليمني ولم يكن يتأهل للقيادة سواء في القاهرة وبيروت أثناء الدراسة أو بعد عودته إلى أرض الوطن لو لم يتميز بتلك المميزات القيادية ودماثة الاخلاق والتواضع في الرؤية ووضح الهدف وسعة الاطلاع والقدرة على الإقناع والتوجيه واحترام حوله لشخصه والتضحية بالذات من أجل القضية العامة واشهد أن الفقيد كان يتمتع بهذه الصفات وغيرها مما دفع به إلى تحمل تلك المسؤوليات الجسام التنظيمية والقيادية في الخارج وفي داخل الوطن بكل نجاح محاطا بتقدير واحترام من عملوا معه.

كان محترما ويحترم الآخرين ولا يترفع عنهم وقد حدثنا ذات مرة الأستاذ يحيى الشامي بأن سلطان قدم ذات يوم جار الله عمر قائلا: هذا هو التلميذ الذي أصح متفوقا على أستاذه وهذا الموقف يكشف حقيقة هذا الرجل الاستثناء الذي كان يؤثر الآخرين على نفسه.

ولأنه من ذوي العزم فإن أي شيء لم يستطع أن يثنيه عن العمل من أجل انتصار القضية التي كرس حياته من أجلها.

فمنذ أن كان طالبا في العقد الثاني من عمره اشتق وزملاؤه طريقا جديدا للعمل السياسي في اليمن يعتمد الأسلوب الحديث في التنظيم والمزج بين عموم الوطن والأمة في الفكر وهكذا افلح مع ثلة صغيرة في نقل أفكار وأهداف حركة القوميين العرب إلى الأرض اليمنية.

عاش سلطان ظروفا مادية صعبة على الرغم مما يمتلكه من رصيد نضالي كبير كان يؤهله لأن يكون من رجال المال الكبار حيث كان يتبادر إلى ذهن البعض أن لهذا الرجل رصيدا ماليا كبيرا ربما يفوق رصيده النضالي ويفوق شهرته .. بينما هؤلاء لم يدركوا أن منزله المتواضع في حي كريتر ستاثره باليه وممزقة وجدرانه أكلت السنوات من عليه الطلاء، وتستند كنباته وأسرته على صفائح السمن والحليب الفارغة المملوءة بالتراب، وقد طلب مني أكثر من مرة أن أتيه من والدته في تعز بمال يستطيع به طلاء منزله وتغيير ستائره وإصلاح الأماكن المتهالكة فيه.

وبعد الوحدة وهو يستعد للسفر إلى الجنوب جاءني على استحياء يطلب مني أن أستلف له ثلاثة آلاف ريال مقابل إملاء سيارته بالبنزين.

هذا هو سلطان الرجل الأشهر في تاريخ اليمن المعاصر محليا ودوليا والذي أصبح بعد الوحدة عضوا في أول مجلس نواب موحد ومستشارا للرئاسة وسكرتيرا أول لمنظمة الحزب الاشتراكي بمحافظة تعز.. وكان أكثر تمسكا بالقيم الثورية والوطنية والإنسانية.. متواضعا شعبيا يخالط الناس حياتهم دون أن يكون هناك فارق في ما بينهم .. كان مواطنا وزعيما سياسيا محنكا، وقائدا مرموقا وكان يحتل موقعا رفيعا بين مختلف السياسيين والمثقفين..

تمتع بتأثير سياسي واسع تاريخياً وسياسياً.. كان مستوعبا لعملية التغيير بأفاقة الديمقراطية والسلمية والتي كانت تعتمل في الواقع مؤمنا بحتمية انتصار الثورة والقوى الجديدة.. وبحق الشعب في حكم نفسه بنفسه.. كان نافذا معروفا على مستوى الداخل والخارج.. يواجه القضايا بشجاعة.. لم يتمسك بحقه التاريخي في القيادة.

كان يعيش زاهداً في الحياة .. متقشفاً.. وكان واضح الرؤى والأهداف واسع الاطلاع.. يتمتع بقدرات كبيرة على الإقناع وإيصال المعلومات بيسر وسهوله, وكان طول حياته النضالية جزءاً من الصراع الذي رافق مسيرة الجهة القومية, والكفاح من أجل التحرر وبناء دولة ديمقراطية حديثة تتمتع بقدرات البقاء والاستمرارية وقد بلغ الصراع ذروته في المؤتمر الرابع للجهة القومية الذي انعقد في زنجبار أبين والذي أحدث فرزاً رفاقياً على أساس يمين ويسار.

وقد كان لسلطان في هذا المؤتمر دور أساسي في إعداد الوثائق التي قدمت للمؤتمر.. ونشط سلطان مع المناضل علي صالح عباد مقبل وعبدالله الخامري، وعبدالله الأشطل على إنشاء مجالس ومحاكم شعبية في البلاد, وتم إعداد وثائق المؤتمر خارج إطار اللجنة التحضرية، مما اعتبر ذلك خرقاً للتقاليد التنظيمية أسفر عن تجميد عضويتهم في القيادة العامة إلى حين انعقاد المؤتمر، وفي المؤتمر حصل التقرير الذي أعده للمؤتمر على الغالبية العظمى من أعضاء المؤتمر بما فيهم من التيار اليميني، وعلى أثر الانقلاب اليمني في 20 مارس واحتلال الإذاعة وتطويق شوارع عدن.. تم اعتقال سلطان وعبدالفتاح اسماعيل وسالم ربيع علي، وعلي عنتر وعلي سالم البيض وعبدالله الأشطل وعبدالعزيز عبدالولي وعلي صالح عباد مقبل ومحمد صالح مطيع وصالح مصلح ومختلف قيادات اليسار التقدمي كما اعتقل معهم الأستاذ عبدالله عبدالرزاق باذيب مؤسس وزعيم حزب الشعب الديمقراطي الذي كان رافداً من روافد اليسار التقدمي، ورافعة نضالية معروفة.

لم يكن سلطان مجرد قائد وإنما كان مناضلاً وسياسياً ومثقفاً متميزاً وكان صانعاً للأحداث وحاضراً في مختلف المراحل والأحداث بما فيها الأحداث الأكثر سخونه.. وعلى اثر استقلالية جيش التحرير عن التنظيم السياسي للجبهة القومية أنشئت منظمة للفدائيين في عدن توالي على رئاستها عبدالفتاح اسماعيل وعلي صالح عباد مقبل وسلطان أحمد عمر وعبدالله الخامري وكان سلطان أيضا ومعه محمد صالح مطيع ضمن لجنة الهدنة التي تم تشكيلها في سبتمبر عام 1967م على هامش تجدد القتال بين الجبهة القومية وجبهة التحرير إلى جانب اللجنة المشتركة التي شكلت من الجيش والأمن لحقن الدماء بين الجبهتين.

وكان سلطان يمتلك رؤية ثاقبة بعيدة تأصلت عبر مختلف مراحل النضال الثوري.. ارتبطت بقضايا الناس والشراكة الاجتماعية والسياسية مع المجتمعات المحلية في كل ما يتعلق بإدارة الشأن الوطني.. فقد بادر فور قيام ثورة 26 سبتمبر إلى تشكيل لجان للإصلاح امتدت من الأعبوس إلى مختلف محافظات تعز والحديدة والبيضاء وغيرها من المناطق, وحظيت بقبول اجتماعي واسع كبديل ممكن للمشائخ والقوى التقليدية التي ظلت مرتبطة بالظلم والقهر وكانت هي إحدى أدوات الثورة الشعبية في التغيير.

كان سلطان تجربه تاريخية عريقة مليئة بالمواقف والأسرار.. لا يستطيع أحد أمثالي أن يلم بحياة رجل مثله ينتمي إلى جيل الرواد.. رجل عاش كل المراحل بطلاً ورمزاً لا يمكنني الإلمام بكل تفاصيل هذا البحر الزاخر العميق ومحتوياته, ولكني فقط ألامس بعض جوانب حياته التي كان لي شرف ملامستها سيما المراحل التي عشقها وتأثرت بها ثقافيا وسياسيا وفكريا وايديولوجيا .. ولهذا حزنت عليه حزناً شديداً ولازلت أشعر بالحزن واللوعة لفراقه في زمن نحن أشد حاجة إليه سيما عندما رحل ورحلت معه ثروة كبيرة من الفكر والمعرفة.. فقد خصص جزءاً كبيراً من حياته لتسجيل ذكرياته وتجربته في الحركة الوطنية.. لديه الكثير من الدراسات والبحوث والموضوعات وفي حقيبته هذه أيضا التي حملها معه إلى دمشق كل هذه الأعمال. بما فيها نسخه منقحة ومصححه من كتابه نظرة في تطور المجتمع اليمني مستفيداً من نقد الآخرين له, ومن المعطيات التاريخية الجديدة إلا أن هذا التراث الفكري العظيم اختفى بعد وفاته كما اختفى الكتاب الذي كان يعده عن حياته وكذا الندوة التي كان يتم التحضير لها للتعريف بدور هذا المناضل الفذ الأصيل وأتمنى أن يعمل رفاقه وخصوصاً أولئك الذين كانوا مكلفين بانجاز هذا العمل على إعادة إخراجه إلى حيز الوجود وعلى وجه الخصوص محمد قاسم الثور ومحمد عبدالله الشطفه ومحمد الشيباني وعلي الصراري وجميع رفاقه ومحبيه وبما يسهم في تصحيح الوعي المزيف الذي حاول الكثير تشويه تاريخه النضالي لأسباب شخصية.. فنسبوا إليه ظلما الثورة المسلحة في سبعينيات وثمانيات القرن الماضي.. بينما كان سلطان ضد فكرة الكفاح المسلح وكان أول من نادي بالثورة الشعبية السلمية, ويميل كذلك إلى التجربة الفتنامية ويعتبرها مناسبة لطبيعة اليمن وهذه قضية بحاجة إلى فقاش.. كما أن الكفاح المسلح كان ينص عليه النظام الداخلي للحزب وأدبياته المختلفة وكان ملزماً كقائد للحزب بتطبيق استراتيجيته النضالية.

ويقول الأستاذ محمد حيدره مسدوس بأن سلطان كان ضد الكفاح المسلح وما كان يجري في الجنوب كنا نحن مسؤولين عنه